كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس

مسلك التاريخ والحضار ة: الفصل السادس

تاريخ الأديان

علي واحدي

الأرباب المصرية بشمال إفريقيا القديم

تميزت العلاقات بين شمال إفريقيا ومصر بقدمها وعراقتها، مما ساهم في حدوث التأثيرات الحضارية بين الطرفين، هذا التأثير الذي تتجلى صفاته في انتقال بعض مظاهر الديانة المصرية القديمة إلى شمال إفريقيا، والذي تم عبر رافدين : أولا عن طريق الاتصال المباشر بين الليبيين والمصريين، ثانيا بواسطة الاحتكاك بالفنيقين والقرطاجيين الذين تأثرا بالحضارة المصرية إثر اتصالهما وتعاملهما التجاري مع مصر، وسيبلغ هذا التأثير أوجه مع زواج الملك الموريطاني يوبا II بكليوبترا سليني ابنة القائد الروماني أنطونيو وكليوبترا الكبرى.

عملت الأبحاث الأثرية على الكشف عن مظاهر هذا التأثير، عن طريق مجموعة من المستخرجات الأثرية، من تماثيل لبعض الآلهة، ومعابد ونقوش إبيغرافية، بالإضافة إلى مجموعة من التمائم والتعاويذ والصور الإلهية التي تزين الشواهد والنذور، كالموسى والشفرات الجنازية، مما يبرز أهمية التأثير الديني في المتخيل البوني الأمازيغي.

ونحن هنا سنحاول الحديث أو الكشف عن مظاهر هذا التأثير، لكن قبل ذلك هل نحن أمام عملية تأثير، الجانب المؤثر هو الأقوى ؟ أم هي في العمق مجرد قبول وتبني لبعض المعتقدات والآلهة كما سنعمل على تقديم نماذج لبعض الآلهة المصرية التي حظيت بالتقديس والعبادة بشمال إفريقيا، فما هي طبيعة هذه الآلهة ؟ وكيف تم تمثلها داخل شمال إفريقيا ؟

الرب أمون

يعتبر آمون من بين أهم الأرباب المصرية انتشارا في شمال إفريقيا مع ما يطرحه هذا الإله من إشكاليات، أهو " أمون رع" رب الشمس المصري، الذي انتقلت عبادته إلى كل شمال إفريقيا ؟ أم هو رب ليبي محلي

كانت الصحراء الكبرى مهده الأصلي ثم انتقل بعدها إلى بلاد مصر ونال ما وصل غليه من سلطة وشهرة ؟

ظهرت عبادة الكبش في مصر على شكل عبادة أمون، الذي كان في البداية مجرد إله محلي في هليوبوليس، إلى أن وصل أحد عبدته المحليين إلى العرش وهو أمنحتب، حيث أسس هذا الفرعون السلالة الثانية عشرة التي ارتقى معها شأن آمون، إذ أصبح الرب العائلي للملوك الذين تعاقبوا على عهد الإمبراطوريتين الوسطى والحديثة، ومع الإمبراطورية الوسطى أصبح يعرف تحت اسم "أمون رع" الذي استأثر بامتيازات رب الشمس، كما لقب بملك الأرباب، أصبح أمون منذ حرب التحرير التي خاضها المصريون ضد الهكسوس يلقب بواهب النصر لابنه الفرعون.

أما في منطقة شمال إفريقيا فإن نقوشها الصخرية تقدم لنا رسوما لكبش يظهر رأسه مزينا بقرص يعتقد أنه قرص الشمس أو متوج بهالة، وقد وجدت هذه الرسوم بالصحراء الشرقية، بمنطقة فزان وتسيلي نجر، وأحواز زناكة قرب فيكيك وبوعلام وجنوب وهران، كما وجدت رسوم أخرى تمثل الكبش المتوج أو ذو الهالة، (Belier A, Spheroide)، والتي تنتشر بالجهة الغربية للسلسلة الأطلسية بالجنوب الموريطاني يتشابه الكبش المتوج (Bélier à Sphéroîde) ببوعلام مع الكبش المصري الذي يحمل قرص الشمس ويمثل عبادة آمون، هذا التشابه بين الاثنين طرح الإشكالية التالية : أيهما الأصل ؟ ومن الذي أثر في الآخر ؟.

ساد الاعتقاد في بداية الأمر أن الكبش الممثل على النقوش الصخرية هو " أمون رع" المصري معبود طيبة، وقد تبنى هذا الطرح ستيفان كسيل (STEPHANE GSELL)، لكنه سرعان ما تراجع عن افتراضاته، وأصبح يقر بأن النقوش والرسوم الصخرية التي تقدم صورا لكبش مزين بقرص دائري فوق رأسه، ترجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وأن هذه الرسوم تتكرر بجنوب الجزائر ومنطقة قسطنيطينة مما يدل على انتشار واسع لتقديس أو عبادة الكبش، كما قام بوضع مقارنة بين معبودين والرموز والشارات المرافقة لهما، فكبش بوعلام محاط بذيلين ممتدين ويتجهان إلى الأعلى بشكل متماثل، حيث اعتقد أنها شارات مصرية، تتفق وشارات " آمون طيبة" الذي يظهر مرفقا بقرص الشمس ومحاطا بثعبانين منتفخي العنق وهو رمز خاص بهذا الإله كباقي آلهة وادي النيل، هذا الأخير الذي كان يمثل برأس كبش، وامتد نفوذه إلى واحة سيوة، ومن هنا أعتقد ستيفان كسيل (STEPHANE GSELL)، أنه انتقل إلى الأمازيغ خلال ألفين سنة قبل الميلاد، لكنه الآن أصبح يعتبر أن هذه النظرية غير مقبولة.

اعتبر ستيفان كسيل (STEPHANE GSELL)، أن الرموز المرافقة للكبش الممثل على النقوش الصخرية، هي بدون شك رموز دينية لكننا نجهل طبيعتها والمغزى الذي تهدف إليه فهي ليست رموز

مصرية، كما أنه لا يمكننا مطابقة كبش بوعلام مع "آمون رع"، فالأول يدخل في نطاق الحيوانات المقدسة من طرف مجموعات بشرية استقرت بالصحراء انطلاقا من جنوب الجزائر وعبر قسطنطينية إلى غاية فكيك، كما ذهب إلى الافتراض بأنه حتى ولو وجدت بعض الجماعات الليبية التي تبنت عبادة آمون طيبة، إلا أن هذه العبادة لا يمكنها أن تحول عبادة موجهة إلى الحيوانات إلى عبادة موجهة إلى الشمس.

يذهب كبريال كمبس (GABRIEL CAMPS) في نفس السياق ويعتبر أن التقدم الحاصل اليوم في دراسة الفترات الما قبل تاريخية بشمال إفريقيا، لا يمكنه إلا أن ينفي وجود صلة بين آمون طيبة وآمون الليبي " الكبش ذو الهالة"، فهذا الأخير يرجع إلى العصر الحجري الحديث وهو أقدم بكثير من الفترة التي تنتمي إليها المنحوتات المصرية للإله آمون.

ويرى مصطفى أعشي بدوره أن الكبش المتوج لا يمكنه أن يكون كبش آمون–رع، (لأنه وبكل بساطة الكبش المتوج المنحوت في النقوش الصخرية أقدم بكثير من أمون – رع، ويعود إلى مرحلة من العصر الحجري الحديث...).

كما يخلص الباحثان معا إلى بعض الحقائق انطلاقا من آثار قبر الكرمة بالنوبة، حيث عثر على آثار الكبش قدم كقربان، والذي يحمل فوق رأسه رموز تشبه رموز الكبش الليبي، لكن آثار قبر الكرمة حديثة بالمقارنة مع الآثار الليبية، إذ تم تأريخها بالفترة المعاصرة للدولة الوسطى فهذا الاكتشاف يدل على أنه داخل بلاد النيل لم يكن حيوان التضحية أو القربان مرتبطا بعبادة آمون، إن دراسة النقوش الصخرية لمجموع المراكز الأطلسية تمكن من القول بأننا لسنا أمام حيوان مخصص للعبادة، بل هو حيوان قربان خصص للتضحية.

قام كبريال جرمان (Gabriel Germain)، بدراسة الأكباش الممثلة على النقوش الصخرية، انطلاقا من الإشارات والعلامات المرافقة لها : القلائد والعقود والهالة، أو التاج على شكل قرص أو دائرة فوق الرأس. وعمل على مقاربة كبش فج زناكة بالمغرب وبوعلام بالجزائر بكبش طيبة (آمون رع). فهذا الأخير مثل على الآثار المصرية في شكل كبش يحمل فوق رأسه قرصا، ربما يمثل الشمس وتحيط بعنقه عدة عقود. أما كبش زناكة وبوعلام فإن الأول يحمل على رأسه زينة على شكل تاج ثلاثي الرؤوس، بينما الثاني فوق رأسه وبين قرنيه قرصا دائريا ويحيط بعنقهما عقد. كشفت المقارنة على أن عقد كبش زناكة وبوعلام أوسع وغير مزخرف مثل نحت كبش " آمون رع" المصري. حيث لاحظ أن مصر العقد دليل على التكريم، إذ يتحلى به دوما الحيوان المقدس. أما بالنسبة للأطلس الصحراوي فكان من الطبيعي التفكير في طقوس التضحية لكن هذا التتويج هل هو حيوان أضحية أم لحيوان مؤله ما القرص أو التاج الذي يزين الرأس، فهي كلها رموز للتقديس سواء على الرسوم الصخرية أو المنحوتات المصرية. ولا

نرى هذه الرموز إلا على بعض الحيوانات الأليفة، كالكبش والثور والتيس، وهي حيوانات حضيت بالتقديس في كل من الصحراء ومصر.

طرح هذا القرص بدوره أشكال، فهل هو رمز شمسي ؟ أم رمز ذو دلالة أخرى ؟ وفي هذا الشان يتفق الأستاذ مصطفى أعيش مع كبريال جرمان (Gabriel Germain) في أن قرص الشمس يمكن أن يكون رمزا شمسيا أو رمزا قمريا. أما القرص الممثل على النقوش الصخرية فلا يمكن أن يكون إلا رمزا قمريا نظرا لارتباطه المحتمل بالمطر. إذ يرى الأستاذ مصطفى أعشي أن أمازيغيا لا يمكن أن يفكر إطلاقا في الالتجاء إلى الشمس لطلب المطر، لأن الشمس تتحكم في فصل الصيف فصل الجفاف وانعدام الماء. "ولذلك فمن المرجح أن يكون القرص، أو الدائرة، أو الهالة المرسومين فوق رأس الكبش عبارة عن رمز للقمر، بالنسبة لأكباش النقوش الصخرية، وليس للشمس، لأن الهدف من عبادة وتقديس هذه الأكباش هو الزيادة في تكاثر وتوفير المراعي الكافية لها." فالوظيفة الأساسية لهذا الكبش كما يظهر من خلال آثار ما قبل التاريخ والأساطير والعادات الأمازيغية، أنه حيوان يستخدم كرمز لاستجلاب المطر ومنبع الخصوبة.

بعيدا عن النقوش الصخرية والرموز التي تحملها، وإذا نظرنا إلى الاسم فقط " آمون" نجد أنه في الأصل كلمة أمازيغية، مكونة من كلمة "أمن" أو "أمان" والتي تعني الماء أو المياه. وفي هذا الصدد قدم تروسل « Troussel »، عدد من التفسيرات والآراء لكلمة "آمون" "فسرفيوس (كما جاء عند تروسل)، اعتبر أن كلمة "آمون" تعني الكبش، وحسب كسيل كانت تدل على الاسم الشخصي للإله الكبش، أما في لهجة تماحق Tamahak أو الأمازيغ فنجد أن "أمان" تعني " الشخص" أو "الشخص الواحد" أو "هو نفسه" فكلمة "آمون" إذن تم تداولها ضمن كل اللغات المحلية الأمازيغية. أما في اللغة المصرية القديمة فهي كلمة مشتقة من معنى الاختفاء وعدم الظهور أي بمعنى "الخفي السري".

نجد انطلاقا مما تقدم أن كل الآراء تجمع على أن آمون في الأصل، هو إله ليبي محلي وأن عبادته انتقلت إلى طيبة، حيث أصبح الإله الكبش الأصلي "أمون رع"، وظهر في صورة جسم إنسان ورأس كبش، وقد انتقل هذا الإله في القرن 6 ق.م إلى واحة سيوة والتي أصبحت تعرف بواحة آمون. وعرف أهلها بالأمونيين نسبة إلى آمون، وهم الذين قال عندهم هيردوت: "... وأول جماعة يلقاها القادم من طيبة بعد رحلة تستغرق عشرة أيام هي جماعة الأمونيين الذين يعبدون زيوس طيبة إذ أن لتمثال زيوس في طيبة، كما قلت سابقا رأس كبش، ويتوفر الأمونيين على عين المياه (...) تسمى بمنبع للشمس، وصخور مخصصة ل Auster.

يتبين من هنا أنه كانت هناك مجموعات بشرية تنسب إلى آمون أو يشتق اسمها من اسمه، فبالإضافة إلى الأمونيين الذين سبق ذكرهم، نجد أيضا الكرامنت والنسامون، فالكرامنت هم سكان فزان الحالية، عرفوا

بسيطرتهم على طرق التجارة الصحراوية، وقد ورد ذكرهم عند هيردوت، هذا لا يقدم أية إشارة عن عبادة الكرامنت لأمون. إلا أن الأستاذ مصطفى أعشي، وانطلاقا من مقاربته للتحليل اللغوي لاسم الكرامنت اعتبر أن "أكر أمون تتكون من كلمتين أكر تعني حقل وأمون هو الرب والكلمتان تعطينا ما يلي: حقل أمون، إذن فالكرامنت هم أبناء حقل أمون، أو مجال أمون أو بمعنى آخر الأبناء الذين يدخلون في حمايته. يذهبون إلى أضرحة أسلافهم حيث يقيمون الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل ما يأتيهم من الأحلام وحيا" ومن هذا النص يتبين أن الناسمون يشتركون مع آمون في التنبئ، إلا أنهم لم يكونوا بحاجة للذهاب إلى هيكل أمون وإنما اكتفوا بأضرحة أجدادهم.

هناك من يشير إلى أن شهرة وحي آمون في سيوة قد ازدهرت منذ القرن السادس قبل الميلاد، خاصة بين الإغريق النازلين في برقة، ولعل شهرة آمون في التنبؤ هي التي دفعت الملك الفارسي قمبيز (525-522 ق.م) إلى القيام بحملته المشهورة إلى سيوة لتحطيم معبد آمون هناك، والذي تنبأ كهنته بسوء المصير لقمبيز وفتوحاته، وقد صدقت نبوءتهم. كما أن الإسكندر المقدوني قد أسرع عندما فتح مصر سنة 322 قبل الميلاد إلى واحة سيوة مقر وحي آمون حيث رحب به كهنة آمون كابن للإله آمون، الأمر الذي اعتبره الاسكندر قرارا من الإله آمون يمنحه به السيادة على العالم.

إذا رجعنا إلى اسم الناسمون الذي تتسمى به هذه المجموعة البشرية نجده يتكون من كلمتين أمازيغيتين : " إناس وأمون، إناس من "إن" الأمازيغية التي تعني قال يقول أو أوحى يوحي، وهذا في حد ذاته دليل على وجود علاقة بين هذه المجموعة البشرية والرب آمون المعروف بالوحي والتنبؤ. ويمكن أن نترجم كلمة إناس آمون ب" يوحي" آمون أو يقول آمون الموحي، آمون القائل، بمعنى أنهم أبناء آمون الذي يقول ويوحي وأن حملهم لإسم آمون دليل على عبادتهم له وارتباطهم به. إلى جانب الأمونيون والناسمون نجد مجموعات بشرية أخرى كالجيتول أو الكيتولي التي كانت تستقر بالمناطق المتاخمة للصحراء، والتسمية هي كلمة أمازيغية تعني آل الأغنام.وقد تم ترجيح أن الجيتول كانوا يربون الأغنام مما جعلهم يرتبطون بعبادة رب يرمز إلى الغنم وهو الرب الكبش آمون.

يظهر من خلال هذه الأمثلة أن عددا من المجموعات الليبية كانت تشترك في عبادة الرب آمون لدرجة أنها أصبحت تنسب إليه، وأدخلت اسمه المقدس في الأسماء الدالة على هذه المجموعات، هذه الأخيرة كانت تستقر بالصحراء، والتي يفترض أن تقدس معبودا صحراويا قريبا من بيئتها وتصوراتها، ومن الملاحظ أن المجموعات البشرية التي تنسب لآمون أو يدخل اسم ضمن أسمائها المركبة، هي المجموعات الليبية فقط، أما بمصر فلا نجد إن اسم الرب آمون يدخل في تركيبة أسماء مدنها أو الأسماء الدالة على أجناسها البشرية، فهل يمكن أن يكون هذا دليلا على أن الرب آمون هو رب صحراوي؟

وإذا تتبعنا مراكز تواجد النقوش الصخرية التي تصور الأكباش نجدها تنتشر على مستوى ثلاثة مجالات : الصحراء الشرقية، جنوب وهران ومجالها الممتد إلى تيارات (Tiaret) وغرب قسطنطينة، فهي بالتالي تغطي مجالا واسعا عرف بتواجد الرحل والنصف الرحل. افترض مارسيل لوكلي أن هذه النقوش تنتمي إلى حضارة صحراوية محضة، وأن الصحراء قد أنتجت معبودين : الأول لا يحمل أي قرص أو رمز والثاني الكبش المتوج « Bélier à Sphéroïde » الممثل على نقوش المغرب الشرقي والذي طرح إشكالية ارتباطه بآمون المصري. ويمكن أن نميز هنا بين معبودين، معبود صحراوي صرف، ومعبود آخر تأثر بآمون سيوة.

لقد انتقل آمون رع إلى طيبة إلى واحة سيوة في ق 6 ق.م وفي هذه الفترة قام الإغريق المستقرون بقورينة بتبني هذا الإله تحت اسم " زيوس Zeus" وصوروه في صورة إنسانية مزينة بقرني كبش، وهي نفس الفترة التي انتقل فيها إلى الليبيين، عن طريق اتصالهم بأهل واحة سيوة حيث لاحظوا وجود عبادة آمون، فلم يكن من الصعب عليهم تبني هذا الإله خاصه وأنه يتشابه مع إلههم الكبش المقدس، ومن هنا تم تقديس آمون إله الشمس كأحد أكبر آلهة الطبيعة.

حيث سيعرف انتشارا واسعا بكل شمال إفريقيا، منتقلا إليها عبر الإغريق المستقرين بقورينة وعبر الفنيقيين، فظهر في صورتين : بعل حامون وجو بيتر أمون. يطرح الإله جوبيتر آمون كإشكالية مركبة، نظرا لصعوبة تحديد تاريخ ظهوره وطبيعته، لقد عرف في البداية تحت اسم زيوس أمون الذي عرف انتشارا واسعا بقورنية، حيث يوجد معبده المشهور، كما صور على عدد مهم من نقود قورينة خاصة وإفريقيا عموما. ومثل على غرار النموذج الإغريقي على شكل رأس آدمية ملتحية، مزينة بقرني كبش. وهي معاصرة لفترة الإسكندر وبطوليمي. ويدل الاسم المزدوج لهذا الإله على ازدواجية أصله، فهل هو إليه ليبي باعتبار نشأته بقورنية ؟ أم هو إله ذو أصل إغريقي ؟

ساعدت شهرة آمون معبود سيوة عند الليبيين وخاصة داخل المجال البوني، على أن يصبح بعل حامون يتطابق مع معبود واحة سيوة، وآمون الأمازيغي " نظرا للتشابه الموجود بينه وبين الكلمة الأخيرة من الرب الفنيقي، البوني، بعل حامون فإنه سيتسبب في خلط آخر لدى سكان شمال إفريقيا مما سيسهل عملية انتشار عبادة بعل حامون بين الأمازيغ، اعتقادا منهم أنه هو ربهم الأمازيغي آمون". اعتبر مارسيل لوكلي أن بعل حامون الإله "الأمازيغي البوني" قد أخذ من آمون "الإله الليبي المصري" قرونه وجزءا من شخصيته حيث أصبح إلها شمسيا. كما ذكر ستيفان كسيل أن النومديين لم يكونوا ليقدسوا بعل حامون لو لم يقربوه من آمون، آمون الليبيين.

وقد استطاع حامون بعل أن يجمع بين الصفات الفنيقية والمصرية والليبية. حيث صور في عدة أشكال منها الشكل الذي يصوره على هيئة إنسان جالس على عرش تمثال أبي الهول المجنح وأحيانا يحمل قرني كبش. هذا فضلا على أن قرص الشمس المجنح المصري الأصل، كان من الرموز المتصلة بهذا الإله.

وإذا أردنا تتبع آثار الرب آمون بشمال إفريقيا فإننا نجد بالإضافة إلى معبد وحي آمون بسيوة مجموعة مهمة من النقود التي ترتبط بمدن وملوك وفترات زمنية مختلفة، والتي تحمل صورة آمون. فبقورينة ومن بين 66 قطعة نقدية مختلفة نجد 55 قطعة قد مثل عليها إله مزين بقرنين، ومع فترة البطاملة ستظهر بقورنية سلسلة نقدية مهمة من الذهب والفضة، مثل عليها الرب آمون مع نبات السلفيوم المقدس. يظهر الإله المقرون تارة ملتحيا وتارة أخرى غير ملتحي، ومن هنا اعتبر ميلر« أن الأول هو جوبيتر آمون والثاني هو بوكوس الليبي.

عثر بنوميديا على ثلاث قطع تؤرخ بفترة حكم يوبا II تحمل على الوجه صورة الرب آمون ملتحيا يحمل قرني كبش، وعلى الظهر توجد صورة فيل. كما نجد ضمن نقود يوبا II نقدين يحملان صورة جوبتير آمون، الأول يحمل على الوجه صورة رأس ملتحية ومزينة بقرني كبش، وعلى الظهر صورة فيل. أما النقد الثاني والذي أرخه مازار « J.Mazard » فيما بين 25 و23 ق.م فهو يحمل على الوجه صورة جوبيتر آمون وقد نقش بجانبها REXIUBA الملك يوبا. وعلى الظهر تظهر كليوبترا جالسة في اتجاه اليسار وتحمل رموز الإلهة إزيس مما يدل الإزدواجية الدينية والثقافية الليبية المصرية وذلك من خلال صورتين لعملة واحدة، أمون الليبي وإزيس المصرية وهما رمز إلى يوبا II وكليوبترا الهلينية ذات الجذور المصرية. أم نعتبر ذلك مؤشر لعبادة إمبراطورية موجهة للزوجين الموريطانيين يوبا II وسليني الذين عملا على إحياء المعتقدات الإفريقية والمصرية القديمة

تم الكشف بالإضافة إلى النقود على بعض التماثيل إن لم نقل جزء منها للرب آمون، حيث عثر على رأس آمونية من الرخام بالمسرح القديم بتشرشل "قيصرية" سنة 1912، وهي معروضة بمتحق المدينة.

الربة إيزيس :

تعد إيزيس من أشهر الإلهات المصرية نشأت أول الأمر في الدلتا، حيث تحولت تبعا لانتشار العقيدة الأوزيرية من إلهة محلية إلى إلهة كونية غزت العالم القديم ومنذ ذلك الوقت فقدت طابعها هذا وبقيت محتفظة بصفتها كزوجة للإله " أوزيرس" والأم الرؤوم "لحورس" ووردت أوصافها في مختلف النصوص على أنها الإلهة العظيمة والأم المقدسة، حيث أصبحت تسمى "أم الآلهة".

وكانت البقرة حيوانها المقدس، وكانت تمثل غالبا على هيئة امرأة ترضع طفلها "حورس" وهذه الصورة من أحب صورها لدى المصريين. إن أول إشارة تدل على تقديس الليبيين لإيزيس نجدها عند هيردوت الذي ذكر بأن " الليبيين المستقرين انطلاق من مصر حتى البحيرة التريتونية، كانوا بدوا رعاة يأكلون اللحم ويشربون اللبن وللسبب نفسه، الذي يجهر به المصريون كذلك، هم لا يلمسون لحم الأبقار ولا يربون الخنزير، وتعتبر نساء قورنية أيضا من الإثم أن يأكلن لحم الأبقار، وذلك من أجل إيزيس مصر. بل إنهن يكرمنها أيضا بالصيام والاحتفالات، وترفض نساء برقة كذلك أن يأكلن لحم الخنزير والأبقار.

تؤكد شهادة هيردوت هذه وجود عبادة إيزيس لدى الليبيين المجاورين لمصر. وفي الواقع أن هذه العبادة قد استطاعت تجاوز هذا الإطار الضيق زمن القرطاجيين والرومان لتنتشر بعد ذلك بكل شمال إفريقيا. فابستشهاد النصوص الأدبية والإبيغرافية والأثرية خاصة الألواح الصخرية المنقوشة نجد أن اسم إيزيس مؤكد. فاسم إيزيس يظهر من بين أسماء الآلهة المكون لبعض الأسماء الشخصية البونية. مما يدل على مكانة هذه الربة المصرية ضمن المعتقدات القرطاجية.

يبدوا أن عبادة إيزيس ظلت منتشرة بإفريقيا الشمالية طوال الفترة الرومانية، وتظهر آثار مظاهر هذه العبادة في عدد من المدن الرومانية بإفريقيا الشمالية، كوليلي وقرطاج وبولاريجيا (Bulla Regia) وقيصرية وتشرشل وسبراطة. ظهر تقديس إيزيس بموريطانيا في فترة حكم الملك الموريطاني يوبا II عن طريق زوجته كليو بترا سليني ذات الأصول المصرية، فهي ابنة مارك انطوان وكيلو بترا السابقة، التي حرصت على الارتباط بالديانة المصرية وجسدت ذلك على النقود سواء العائدة إلى فترة يوباII أو ابنها بطليموس.

النموذج الرئيسي لهذه النقود، نجد به صورة إيزيس مرفقة دائما بسنبلتين، حيث لا تظهر أبدا بمفردها، ولكن مرفوقة بعدة إشارات ومن أشهرها، الهلال، النجم، الكوكب أو القرص والبقرة. وأحيانا تكون على هيئة امرأة جالسة متجهة إلى اليسار تحمل في يدها اليمنى باقة وعلى يدها اليسرى وضع صولجان، في حين يزين رأسها بقرني بقرة بينهما قرص، وقد نقش على هذه النقود الكتابة التالية Basilica Kleopatra انطلاقا من هذا الرسم اعتبر كل من J.Mozard وs.Gsell أنها صورة للربة إيزيس في حين تعتقد الأستاذة حليمة غازي، أنها الملكة كليوبترا تمثلت على هيئة الربة إيزيس على اعتبار أنها تنحدر من سلالة فرعونية.

لا نجد في بعض الأحيان على هذه النقود سوى رمز الربة إيزيس وهما، قرني بقرة محاطان بهلال ومرفقان بسنبلتين وطاحونة خشبية كانت تستعمل في الاحتفالات المخصصة لإيزيس مصر أما النموذج

الثالث من هذه النقود التي تمثل عبادة وتقديس إيزيس بموريطانيا في عهد يوبا II، فتظهر إيزيس في شكل بقرة، حيث يعتقد J.Mazard أن تقديس البقرة يرجع إلى أصول مصرية، وأنها كانت مخصصة لتجسيد الربة حتحور، لكنها ترتبط أيضا بعبادة الربة إيزيس شأنها في ذلك شأن التمساح الذي يظهر ممثلا على هذه النقود، فإذا كان الكوكب من الصفات الكونية الخاصة بالإلهة إيزيس، فإن البقرة المقدسة تجسد الصورة الحيوانية لإيزيس في المعتقد المصري، ورمزا للوفاء والسلم. أما النجم فهو رمز للسلطة الكونية لإيزيس، الدائرة أو القرص المرتبط بقرني البقرة يرجع إلى القرص الشمسي لأوزريس المرتبط بأبيس سيرابيس. وتبقى هذه الصورة والصورة المتعلقة بالبقرة بمفردها ترتبط بأصول إفريقية، مما يدل على أن يوبا II حرص على الاحتفاظ بهذه الثنائية المرتبطة بالثقافة الافريقية والرموز الأسطورية المصرية يمكن أن يكون رمز إيزيس الذي يرافق التاج الإمبراطوري إشهارا لمشاعر الرحمة المطلقة تجاه إيزيس، إلهة الرخاء وسيدة العالم وإلهة القدر، هذا الأخير الذي يظهر أحيانا منتصرا بما أن الملكة تتكفل بتجسيد إيزيس بموريطانيا.

تتيح بعض صور إيزيس : البقرة، العمود المجنح (Caducée) قراءة ذات ثلاث أبعاد، نموذج مصري لا يتكرر إلا نادرا. نماذج تحمل إشارات إفريقية أوليبية بوينية، والتي تشير إلى روابط قرابة تضم موريطانيا ضمن مجال ثقافي جيو سياسي واسع، ونماذج تتشابه مع أخرى رومانية تشير بطريقة واضحة إلى انتشار تقديس إيزيس عبر العالم الروماني، بالرغم من أنها لم تكن في الأصل ربة للحرب أو النصر.

قام الملك الموريطاني يوبا II ببناء معبد لإيزيس بعاصمة مملكته قيصرية، حيث يوجد حرم مقدس خصصه يوباII حسب بلينوس الشيخ للتمساح الذي جلبه من موريطانيا كما تظهر مظاهر عبادة هذه الربة بعدد من المدن بشمال إفريقيا، حيث عثر بتشرشل في الجزائر على تمثال إيزيس وبقايا تمثال يمثل كاهنة لهذه الربة، وكان لإيزيس معبد بكل من قرطاج وبولارجيا، إذ عثر على قاعدة وجدت بدوكا تظهر إيزيس وأنوبيس، وتشير إلى أن إيزيس تتوفر على معبد ببولاريجيا والذي لا تزال آثاره ظاهرة.

تأثرت بعض الربات المحلية بهذه الربة كعشتارات التي أصبح اسمها يقابل اسم إيزيس وحتحور ونيت...كما كانت تمثل في صورة إنسانية، فتظهر أحيانا عارية مزينة بقرني إيزيس أو حتحور مع وجود القرص بين القرنين. عثر على معبد آخر لإيزيس بسبراتة، حيث تم التعرف على تاريخه انطلاقا من الأعمال الكبرى، التي تمت منذ سنة 1940-1934 و1943-1947 والتي اهتمت بالقيام بدراسة مونوغرافية، وقد تم تأريخ معبد إيزيس (Iseion) انطلاقا من سلسلة القطع الصخرية التي تحمل اسم (Vaspasien) وإهداء للربة إيزيس.

ظهرت عبادة إيزيس بسبراته منذ الفترة الهلنستية، وقد تم تجديد معبدها مع فترة الفلافيين (Flaviens) كما عثر على نقش يحمل إهداء لإيزيس يرجع إلى القرن الثالث الميلادي، وجدت نقيشة أخرى تحمل اسم القنصل كايوس باكيوس الإفريقي (Caius paccius africanus) الذي شارك في ترميم معبد إيزيس بسبراطة مما يدل على الأهمية والخصوصية، الرسمية لعبادة هذه الربة.

لا تعطينا النفائش أي اسم محلي، فهل يمكن لهذه العبادة أن لا تكون متبناة من طرف السكان المحليين. أم أنها كانت خاصة ببعض الجنود الرومان أو بعض المهاجرين ذوي الأصول الشرقية ؟ هذا الإشكال يمكن أن يثير انتباهنا إلى تحديد تاريخ هذه العبادة وأماكن تواجدها.

هذا وقد كانت إيزيس تعبد بصفة مشتركة مع إله آخر وهو سيرابيس. فكانا يشكلان زوجا إلهيا أكثر شهرة بإفريقيا الشمالية وقد خصص لهما معبد مشترك بلمبيز (lambese) بني من طرف نائب إمبراطوري كما توضح ذلك النقشية التي تؤرخ بنهاية حكم أنطونين المتدين (Antonin le pieux).

أما بموريطانيا الطنجية، فقد وجدت آثار إيزيس بكل من تمودة ووليلي، فبتمودة ثم العثور على عدد كبير من القطع النقدية التي اسم إيزيس، كما مثلت عليها أيضا رموز هذه الإلهة : المزهر، الشمس بين قرني بقرة ونجمة سداسية مع هلال، الشيء الذي قد يثبت أن عبادة إيزيس كانت منتشرة بين سكان هذه المدينة أما بوليلي فقد عثر على نقيشة تحمل إهداءا لإيزيس، وهي توجد بساحة الفوروم، اكتشفت في ماي 1888 من طرف لويس شاتلان

ISIDI AUG (ustae) SACR (um) / (L (ucius))

CAECILIUS. FELIX. L(ucii). CAEC (ilii)

(C) AECI LIANI. L IBERTVS

(ob. H) ONOREM. (Se) UIR (atus)

D (e) S (uo) (D (edit))

ويترجم هذا النص كالتالي : " تقربا إلى الربة إيزيس أوكيست قدم لوكيوس كايكليوس فيليكس، معتوق لوكيي كايكلي كايكلياني هذا الإهداء".

يظهر من خلال المصادر الأثرية والوثائق الإبيغرافية، أن الصورة العامة التي اتخذتها الربة إيزيس تكون إما واقفة أو جالسة، ورموزها عموما هي : زهرة اللوتس، النجم والهلال، القمري، وفي بعض الأحيان

في صورتها الحيوانية. مما يدل على أن إيزيس التي كانت تعبد في المدن الرومانية لا تختلف عن إيزيس المقدسة من طرف المصريين والإغريق

الرب سيرابيس :

إله ذو أصل مصري عرف تحت اسم أوزيريس، أبيس، وقد تم تقريب هذا الإله مع عدد من الآلهة الإغريقية إبان الفترة اليهلنستية بالإسكندرية كأسكليبيوس : هاديس وحتى زيوس. حضى سيرابيس بنفس الأهمية والانتشار في إفريقيا الشمالية، وكان يجسد ربا للشمس فهو الإله الكوني الذي كان يحدد وظائف باقي الآلهة، وهو أيضا سيد البحر والملاحة وسيد منبع الحوريات.

وقد مكنت أهمية هذا الإله وتعدد وظائفه من اقتباس سمات آلهة أخرى أو الاندماج معها. فمثلا أسكليوبيوس كان يمثل برموز سيرابيس، ونفس الشيء بالنسبة لتمثال الإسكندر. واحتفظ بنفس التشبيه خلال الفترة الرومانية، إذ وجد في سبراطة بمعبد جوبيتر تمثال يجسد جوبيتر – سيرابيس. وقد اتخذ هذا الرب على إحدى الإهداءات اسم (Dispater) أي الإله (بلوتون). وبموقع سبراطة أيضا عثر على خمسة تماثيل للإله سيرابيس متخذا رموز ميركير (Mercure) القضيب والجناحين. بينما تظهر مجموعة وثائق وجود علاقة وارتباط بين سيرابيس ونبتون بإفريقيا الشمالية وخاصة بقرطاج.

يسجل أيضا حضور سيرابيس بمجال سبراطة وجكتيس (Gigthis) أمام جزيرة جربة حيث عثر ضمن أنقاض الساحة العمومية (Forum) على رأس تمثال كبير لهذا الإله. كما تصدر مجموعة نقود بونية بسبراطة، رأسا ملتحيا يعتقد أنها للإله سيرابيس، ونفس الصورة نجدها على نقود أخرى بونية وجدت قرب صفاقس، وإحدى هذه النقود تؤرخ بفترة الإمبراطور أغسطس (Auguste) وأخرى ترجع إلى فترات زمنية أقدم من ذلك. وفي أقصى شمال منطقة الجم (El djem) عثر على تمثال من الطين المطبوخ لنفس الإله.

انتشرت عبادة سيرابيس وامتدت إلى مملكة نوميديا حيث عثر على رأس صغير لهذا الإله بالضبط بروسيكاد (Rucicade) القديمة. وبكرطة كان لسيرابيس معبد يرجع تاريخه إلى بداية القرن الرابع الميلادي كما كان له معبد آخر مشترك مع الربة إيزيس حيث وجدت لهما نفس العبادة والتقديس. هذا بالإضافة إلى وجود مجموعة من الإهداءات المنقوشة المرفوعة إلى هذا الرب بكل من تبسة وتمكاد وجميلة.

نلاحظ من ضمن الأشياء المهداة إلى سيرابيس وجود مجموعة من القناديل التي تحمل إهداء لهذا الإله. وقد ورد في قصيدة كاليماك (Callimaque) بالمقطع الشعري رقم 55، وجود قناديل بعشرين منقارا قدمت كإهداء لسيرابيس. واستطاعت الأركيولوجيا أن تأكد ذلك، إذ عثر على قنديل بعدة منقارات بمعبد مارس كنبفار Mars) (cakappar ببونجم، إلا أن هذا لا يكفي للقول بأن الحرم المقدس) (Sanctuaire الذي وجد القنديل خاص بسيرابيس. أما بسبراطة فقد عثر على مجموعة قناديل بمعبد إيزيس (Iseion حيث كان سيرابيس مجرد إله ثانوي.

الرب حوروس

نستطيع من خلال مجموعة من اللقى الأثرية، وخاصة منها المرتبطة بالثقافة الشعبية كالتمائم والتعاويذ، تتبع حظور العبادة المصرية وبالتحديد الرب حوروس. الذي يظهر على هذه التمائم يحمل تاجين، تاج مصر السفلى وتاج مصر العليا. فهو ابن الربة إيزيس بعد أن حملت به من روح زوجها أزوريس، والذي تولى مهمة الانتقام من عمه "ست" فانقسمت بذلك مصر إلى قسمين لكنه استطاع أن يصبح سيد مصر السفلى ومصر العليا. وكان يصور على هيئة إنسان برأس صقر، وهو يجسد عبادة الشمس ورمز الصراع بين الشمس والقمر.

حضور الرب حوروس بإفريقيا الشمالية ارتبط بالفترة الفنيقية وخاصة القرطاجية، إلا أننا لا نجد لهذا الرب معبد أو تماثيل، لكننا نجده ممثلا في شكل تمائم، فقد عثر بإبيزا بإسبانيا ضمن الأثاث الجنائزي بمجموعة مقابر بونية، على عقد من الزجاج والعاج وقد مثل عليه صورة الرب حوروس، الذي يظهر متوجا بتاجي مصر السفلى والعليا، وهو مميز برأس الصقر.

الجدير بالإشارة أن هذا الإله يوجد بكثرة على التمائم البونية بقرطاج بالمقارنة مع باقي شمال إفريقيا، ويمثل على شكل قرص الشمس المجنح الذي يعتبر أحد أشهر رموزه، الذي يزين جدران وأبواب المعابد.

الرب يس :

يعد من الآلهة الثانوية المصرية، يظهر في شكل قزم ملتوي الساقين وله رأس كبيرة، لابسا جلد حيوان، وهو إله الموسيقى والرقص والحماية. إذ يعمل على حماية النوام من أي ضرر. ويعتبر من الآلهة الأقدم والأكثر انتشارا بشمال إفريقيا. وهو يظهر في شكل تماثيل صغيرة من الحجر أو الطين المشوي أو الزجاج. ونجده بكل المناطق المتأثرة بالحضارة الشرقية وخاصة الفنيقية والقرطاجية. يستخدم هذا الإله

غالبا كتميمة في شكل عقد. ولهذا لا نجده إلا بالقبور وخاصة القبور القرطاجية بتونس. إذ عثر له على تمثال بكل من قبور درمش وقبور مرشان الفنيقية بطنجة التي أكتشف بها تمثال صغير في شكل تميمة على عقد زجاج وجد قرطاجية تمثال صغير "لبس" يظهر واضعا يديه على فخديه، ورجلاه مفتوحتان وبطنه بارز، وشعره مزين بخمس ريشات ثم استخرج له تمثال آخر سنة 1983 من هضبة بيرصا بقرطاج وعثر على تمثال لنفس الرب بكل من سوس بتونس وتموسيدا حيث " استخرج خلال التنقيبات التي أجرتها المدرسة الفرنسية لروما.

الرب سوبك :

ظهر هذا الإله كمعبود محلي في مناطق مختلفة، كان يصور على هيئة تمساح. أو هيئة رجل له رأس تمساح وقد عبد في مناطق مختلفة حاملا نفس الاسم والشكل. وأهم مكان انتشرت فيه عبادة سوبك كان الدلتا وأرض البحيرة في الفيوم. وعن مكانة هذا الإله بإفريقيا الشمالية، فـــأهم إشارة بخصوصه نجدها عند بلينوس الشيخ الذي تحدث عن استقطاب يوبا II للتمساح من موريطانيا الجنوبية ووضعه في حرم إيزيس المقدس بالإضافة إلى هذا فإننا نجد التمساح ممثلا على عدد مهم من نقود يوبا II وكليوبترا كإحدى الحيوانات النيلية، وهيصورة تساهم في ربط ولاية موريطانيا بالحضارة المصرية كما تقربنا من النظرية الجغرافية القديمة التي تقول بأن منابع وادي النيل تقع بموريطانيا أو غرب ليبيا. وباستقراء المصادر القديمة نجد أن بومبليوس ميلا يذكر بأن بحيرة الأطلس كانت تغذي كل الحيوانات النيلية في حين اعتبر استرابون " أن الأنهار التي تروي مورونيا (موريطانيا) تغذي التماسيح مثل النيل وكل الحيوانات النيلية. وذهب بعض الكتاب إلى الاعتقاد بأن منابع النيل تجاور حدود موروزية "

فهل استقطاب يوبا II للتمساح إلى معبد ايزيس بقيصرية كان دليلا على أن النيل ينبع من موريطانيا ؟ اعتبر (Michel coltellonie) أن الملك يوبا II كان هدفه هو أن يثبت أن موريطانيا تشترك مع مصر في نهر إيزيس. هذا الأخير الذي ربط ولاية موريطانيا بالعالم الشرقي. فالنيل النهر المقدس المخصص لإيزيس يحمل الخصوبة والحضارة هذا ما كان يبحث عنه الملك الموريطاني، وهو إيجاد ثقافة مشتركة بين مصر ومنطقة إفريقيا. وقد ساهمت كليوبترا سليني في ترسيخ هذا المنحى، فهي أميرة مصرية وكاهنة إيزيس التي تجسد السحر الشرقي. فافتراض وجود منابع النيل بموريطانيا يرسي في الواقع حلم ملك علامة.

الرب أنوبيس :

كان يرمز له بابن آوى، وهو إله للدفن منذ العصور القديمة رئيس موطن الموتى، ويظهر دوره في كتاب الموتى كحارس وضابط للميزان. وقد شارك في أسطورة أوزيريس مما زاده شهرة، وأصبح يمثل في شكل آدمي برأس ابن آوى. يتمثل أهم أثر لهذا الإله بشمال إفريقيا في النصب الذي عثر عليه بوليلي يحمل رأس أنوبيس، وهو لا يزال معروضا بمدخل الموقع. كما عثر على تمثال آخر بقرطاج. وجدت إلى جانب هذه الأرباب آثار لأرباب أخرى ثانوية أو عظمى، لكننا لم نستطع تتبع آثارها نظرا لندرتها أو أنها تظهر في مكان دون آخر. فمثلا حتحور الإلهة السماوية وربة الحب والموسيقى، التي تتخذ شكل امرأة بأذني وقرني بقرة، نجدها تظهر على نقود يوبا II وكليوبترا في شكل بقرة إذ اعتبرها J. mozard الربة حتحور. كما نجد مجموعة من الأرباب الأخرى المصرية سواء الكونية أو الحيوانية ممثلة فنجد مثلا أوزيرس وبس والقطة باستت وأبيس وبخصوص الرب أبيس ألا يمكن أن تكون هناك علاقة بينه وبين الرب الأمازيغي كورزيل ؟

قدمنا في هذا العمل نماذج الأرباب المصرية التي انتقلت عبادتها إلى كل شمال إفريقيا ووجدت آثارها بها. فهل وجود هذه الآلهة كان كافيا ليعكس التأثير الديني المصري على شمال إفريقيا ؟ وماهي باقي مظاهر هذا التأثير ؟

مظاهر التأثير المصري على المستوى الجنائزي بشمال إفريقيا

تعتبر ظاهرة الموت والدفن من أهم الظواهر التي شغلت الإنسان القديم، كيفما كانت عقيدته وأيا كان موطنه. وأيا كان موطنه. فاختلفت طقوس الدفن والممارسات الجنائزية ومعتقدات ما بعد الموت، بحسب الطبيعة الذهنية والسلطة الدينية لكل مجتمع. إذ حرص الإنسان القديم على العناية والاهتمام بمراحل انتقال أخيه الإنسان من عالم الحياة إلى عالم ما بعد الموت. وذلك بإنشاء القرور وتجهيزها بالآثاث الجنائزي من بيض النعام وفخار وحلي وأسلحة وملابس وتمائم وتعويذات، إيمانا منه بحياة البعث والخلود. وبالتالي كان لزاما عليه أن يصطحب معه كل ما من شأنه أن يساعده في حياته الجديدة وخاصة الأشياء التي رأى فيها قوة وسلطة سحرية خفية تستطيع أن تضمن له الأمان والحماية.

الأثاث الجنائزي

لقد اشتركت شعوب شمال افريقيا القديمة مع المصريين القدماء في الإيمان بفكرة الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت. لكنها كانت أكثر تجدرا لدى المصريين بالنظر إلى ما أحاطوا به موتاهم من عناية. هذه العناية التي أخذت تزداد بازدهار الحضارة المصرية حتى بلغت حد الغلو. فأحاطوا موتاهم بكثير من الأسرار والغموض وتفننوا في بناء مقابرهم، فكانت الأهرام العظيمة التي حوت كنوز وافرة أودعت إلى جانب الموتى ثم طلاسم وتعاويذ وتمائم سحرية ودينية تضمن لهم الطمأنينة والمرور بسلام أمام محكمة أوزيرس. هذا ما كشفت عنه متون الأهرام والثوابيت وكتاب الموتى.

ونحن هنا نبحث عن مظاهر التأثير المصري على الشعائر والطقوس الجنائزية والمأتمية بشمال إفريقيا. فقد أكدت الأبحاث الأثرية وجود هذا التأثير الذي يترجم على مستويين : مستوى التمائم والتعاويذ وكل ما يندرج ضمن الأثاث المأتمي المرفق بالميت داخل القبر، والمستوى الثاني يشمل المقابر التي تشهد على تأثر بالحضارة المصرية وخاصة منها قبر الرومية والمدغاسن، وقبر دوكة وقبر سبراطة.

يترجم هذا التأثير الديني المصري في شكل تمائم وصور لآلهة تزين القبور، وتماثيل وأقنعة وموسى وشفرات جنائزية، كل هذا يدل على الأهمية الدينية المصرية في المتخيل الأمازيغي الليبي. إلا أن هذا التأثير يظهر أكثر وضوحا بقرطاج بالمقارنة مع باقي شمال إفريقيا. إذ عثر على مجموعة من التمائم بالقبور القرطاجية، وهي نسخ مصغرة لآلهة حيوانية أو أزهار، أو أصداف، أو أحجار ولآلئ، وقد تم دراستها من طرف المهتمين بالمصريات حيث تم التعرف على دورها السحري انطلاقا من كتاب الموتى.

إلا أن من الإشكاليات التي تطرحها هذه التمائم هي صعوبة التمييز بين إله وآخر من ضمن الآلهة الممثلين عليها خاصة وأنها تظهر للوهلة الأولى كلها متشابهة. لكن يبقى لكل إله شاراته المميزة له ووظيفته الخاصة به فإذا كان الإنسان القديم قد تقرب إلى الآلهة واختارها ليعبدها ويقدسها، لأنه رأى فيها السبيل الوحيد الذي يضمن له الحماية والأمان تجاه كل ما يمكنه أن يهدده من أخطار خارجية وقوة غيبية خارقة. وبما أنه رأى في الموت بداية لحياة جديدة. فقد كان لزاما عليه أن يصطحب معه كل ما من شأنه أن يساعده على هذا الانتقال وخاصة تمائم تماثيل الآلهة.

تتوفر القبور على أنواع مختلفة من التمائم الصغيرة التي تجسد آلهة ورموز مصرية وخاصة منها تلك التي تمثل الحماية تتخذ الآلهة حضورا على التمائم، إذ تظهر ممثلة بقرني بقرة وقرص الشمس وهي شكل بقرة أو إمرأة برأس بقرة أو امرأة بقرني بقرة، أو بقرة مرفقة بعجل، كل هذه الرموز تكون ممثلة على وجه صفيحة تستعمل كتميمة وعلى الظهر في الغالب نجد عين الإله وجدت بمنطقة (سوس) بتونس قطعة من قنديل مثلت عليها إيزيس برأيس مغطى تعلوه نجمة، وتحمل بيدها اليسرى الصولجان وإلى جانبها أنوبيس الذي يحمل الريشة وعصا محاطة بالكاديكوس (Caducee) وعلى قنديل آخر من الطين الأحمر، مثلت عليه مبهمة، ومن بين المواضيع الأخرى الممثلة أيضا نجد رأس سيرابيس كان الإله بتاح على الخصوص أكثر شعبية، وغالبا ما كان يمثل بهيئة عارية ذي قامة قصيرة وغليظة، واقفا على تمساحين بينما يجثم صقر على كتفه وهو رمز للإله حوروس ويعرف هذا الإله أيضا بهيئة مومياء مربوط بشرائط لا يظهر منه إلا الرأس.

وتوجد تمائم أخرى تمثل بتاح وبس عاريين، ويتميز هذا الأخير بوضعه ليديه على فخذيه وبرجليه المفتوحتين وبطنه البارز، ويحمل فوق رأسه خمس ريشات، وله صورة أخرى يكون فيها عاريا برأس كبير ولحية كثيفة. واكتشف بسوس بتونس رأس تمثال آخر من العاج لنفس الإله كما عثر على تمثال آخر من الزجاج لبس بقبور مرشان (Marshan) الفنيقية بمنطقة طنجة ونذكر أيضا حورس الذي يحمل رمز مصر العليا وتاج مصر السفلى وهو مثل " رع خونسو" ممثل برأس الصقر تحته قرص الشمس. ونجد حورس أيضا يمثل واقفا على تمساحين وعلى كتفيه يقف صقران وعلى ظهره تظهر إيزيس المجنحة، هذه التميمة تسمى ملقارت ذات أربعة وجوه (Melkart quatre faces) إلا أنها لا تتيح لنا تقديم أي تفسير.

أما أوزيريس فيحمل تاجا أبيضا يمثل رمز السيادة الملكية لمصر العليا وريشتان ممتدتان في اتجاه أفقي على الجانبين الأيمن والأيسر، كما يظهر "شو" جاثيا على ركبتيه على الأرض رافعا يديه إلى الأعلى حاملا لقرص، ويتشابه هذا الرمز مع رمز تانيت تظهر باستت الإلهة القطة بدورها ممثلة بهيئات مختلفة على مجموعة من التمائم وكانت تستخدم لإبعاد الأمراض.

نلاحظ من بين صور الآلهة الممثلة على التمائم، أن حورس وبس قد عرفا حظوة كبيرة، وخاصة بس كان الأقدم استعمالا حيث عثر عليه بأقدم القبور بدرمش بتونس إلى جانب إيزيس. أما باقي الآلهة فلم توجد إلا في القبور الحديثة بدرمش وجدت بالقبور البونية تمائم تمثل الحيوانات المقدسة بمصر، كالجعران، والقطة، والكلب، والصقر، والتمساح، والقرد، والبقرة، والسمك، ورأس الكبش، وهي من أقدم التمائم.

فمثلا عثر بقبر بدار المورالي بقرطاج، على تميمة للثعبان (نجا Naja) وهي في شكل تسعة ثعابين منتظمة في صف واحد، والثعبان الأوسط هو الأكبر حجما . فهي اليد الحامي التي كان القرطاجيون الأكثر ارتباطا بها، إذ كانت لها قوة سحرية خارقة توجه إلى الموتى على الخصوص، فهي العين الموجهة إلى قرص الشمس السماوي المصنوعة من مواد مختلفة، وهي في شكل "عين حورس" وتسمى "أودجاتOudjat" المحبوبة لدى الشعب البوني إذ اكتشفت بمجموع القبور القرطاجية، وتتوفر على خصائص سحرية مخصصة لتسهل على الميت الانتقال إلى حياة ناجحة.

يحتل الجعران مكانة مهمة من بين الطلاسم السحرية التي ترفق بالميت في القبر كي تضمن له الحماية. لقد كشفت الحفريات الأولى بقبور قرطاج عن وجود ما يقارب ألفا من هذه التمائم على شكل جعران من الخزف المطلي، وهي على العموم تتشابه من حيث مادتها وتقنية صنعها والنقوش التي تحملها مع الجعران المكتشف في مصر بمواقع الأسرة والنقوش التي تحملها مع الجعران المكتشف في مصر بمواقع الأسرة الخامسة والعشرين، إذ نقشت أسماء فراعين هذه الأسرة على الجعران المكتشف بقبور قرطاج. كان لهذه الطلاسم تأثير سحري بشكل واسع في مرجعيته إلى الملك وسلطته. وقد عثر بدرمش على جعران من الخزف ذي الطينة البيضاء، ومن النقوش التي يحملها : أبو الهول المجنح وفوقه رمز "عنخ".

لا تخرج الحلي التي اكتشفت عن نطاق الاهتمام بالحماية السحرية وخاصة فيما يتعلق بحاملات التمائم التي اكتشفت بقرطاج وهي مصنوعة من أحد أنواع الطلاء الخزفي الشمسي (Emailée) إذ يظهر بشكل واضح أصلها المصري، وتوجد أشكال أخرى من الذهب على شكل رأس كبش حيث يبقى الاعتقاد بصنعها المحلي واردا. تعتبر معظم الحلي التي اكتشفت بقرطاج من بين الطلاسم السحرية ذات الأصل المصري وهي مكونة من أقراط الأذن على شكل صليب، وهو النموذج الأكثر استعمالا ثم واسطة العقد (Pendentifs) وهي على شكل قرص الشمس المجنح ويعلوه قرص آخر.

كما استطاعت الحفريات التي أجريت بالقبور المهجورة بقرطاج أن تضع اليد على منتوجات ترتبط بالحرف الفنيقية. ويتعلق الأمر بالعاج المخدوم والذي يظهر عليه التأثير المصري، ويتضح ذلك من خلال مقبض للمرآة وجد بقبور دويمي، ويؤرخ بالنصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد، وهو على شكل امرأة رأسها مزين ب (Klaft) حيث تظهر الأذنين بارزتين ومفتوحتين، مرتدية ثوبا طويلا واليدان

مجموعتان إلى الصدر. وتوجد أشكال أخرى من العاج تتمثل في المشط الذي عثر عليه بمقبرة جونون أو يونون (La Necropole de junoun) بقرطاج والتي ترجع إلى ق 8 ق.م، يحمل هذا المشط نقوش مصرية : أبو الهول المجنح وزهرة اللوتس وذكر البط، وبمقارنة بالنماذج المشرقية نجد أن هذه الأخيرة لا تحمل صورا منقوشة كما هو الشأن بالنسبة لمشط قرطاج وإنما صورا ممثلة في شكل نتوءات بارزة كما اكتشفت بمجموعة قبور بهضبة بيرصة بقرطاج خلال الحفريات التي أقيمت سنة 1980، ضمن مجموعة لقى أثرية ترجع إلى ق 7 ق.م لوحة صغيرة من العاج، انشطرت إلى قسمين بفعل عملية حرق الموتى. يبدو المشهد الممثل على هذه اللوحة أنه مشهد تعبد الشمس الممثلة فوقهما. ويظهر من ملابسهما وتسريحة شعرهما أنهما مصريان، وبالتالي يمكننا افتراض أن هذه اللوحة آتية من وادي النيل.

توجد أيضا تماثيل نصفية لنساء مصنوعة من الطين الأحمر الصلب وهي مكونة في شكل متسلسل على نمط واحد. لها نفس الوجه ونفس التقاسيم والملامح. وتعتبر الأقنعة والتماثيل التي وجدت بقبور درمش ذات أصل مصري، وهناك نماذج أخرى تذكرنا بالتابوت بقبور درمش عن أثاث جنائزي غني مكون من عدد مهم من الحلي الذهبية والفضية كالعقود والأقراط. ونجد ضمنها أشكالا على شكل جعران (Scarbées) مكونة من الأحجار الثمينة كالكريسطال، بالإضافة إلى تمائم من النحاس أو الزجاج تمثل آلهة مصرية أو بونية، ونقشت على ظهرها رموز هيروغليفية.

وجدت إلى جانب الجعران والأقنعة أشياء أخرى ثمينة بأقدم القبور بقرطاج، وهي عبارة عن أنابيب محاطة بشريط معدني يحمل تماثيل ونقوش مختصرة. في حين نجد أن الأنابيب الحديثة لا تحمل أية زينة وهي من البرونز أو النحاس. أما الأقدم منها فهي من الذهب والفضة، ويعلوها رأس حيوان مقدس، كرأس قطة وهو رمز الإلهة باستت أو رأس أسد وهو رمز الإله سوخت.

ويكون في بعض الأحيان معلقا وراء هذا الرأس رأس كبش بقبر أرض الخرايب (Ard el-kheraib) بتونس، كما نجد بقبور درمش بقرطاج أنبوبين من الذهب أحدهما يعلوه رأس القطة باستت والآخر رأس الأسد سوخت. واكتشفت ثلاثة أنابيب من الفضة بنفس المقبرة تحمل نفس الزينة، وفي بعض الأحيان تنتهي بساق يتخذ في نهايته شكل رأس بجعة.

استطاعت الأبحاث الأركيولوجية أن تكشف عن وجود تابوتين بقبور درمش بالقبرين رقم (126 و129) أحدهما من البرونز والآخر من الفضة، وعلى أحدهما رأس سوخت والآخر رأس كبش. وقد قام (P. Gauckler) بحفر القبر رقم (135) بتاريخ 10 أكتوبر 1899، بقبور درمش، إذ عثر به على أمفورة مصرية، حيث لاحظ بانتباه بأنه لا يوجد إلا نوع واحد من هذا النوع من الأمفورات بقرطاج والتي توجد

حاليا بمتحف باردو (Bardo)، ووجد بنفس القبر هيكل عظمي لامرأة شابة، حيث تم التعرف عليها بسهولة : الرأس باتجاه الغرب والقدمان باتجاه مكان طلوع الشمس، كما هي القاعدة في القبور البونية. كان العنق محاطا بعقد ثمين، مكونا من لآلئ على شكل حبات الزيتون وملمعا ببرنيق أحمر بلون الدم مع وجود بقع بلون أسمر أو أسود أو أبيض. ويحمل هذا العقد تماثيل من الزجاج لحورس وبس وعين أودجات (عين حورس). وقرصا من الذهب يمثل القمر وحوله دائرة الشمس.

كانت يد الدفينة تمسك بكأس من بيضة النعام يحمل زخارف على شكل زهرة اللوتس وتحت اليد اليسرى نجد جرة للعطر من النحاس وهي نموذج مصري من النوع النادر، إذ لم يعثر على مثيلتها بقرطاج وحتى بمصر إذ لم يوجد إلا نموذج واحد بمتحف القاهرة.

تعتبر الموسى من الأشياء الأكثر تواجدا بالقبور، وهي مصنوعة من مادة النحاس. عرفت انطلاقا من ق 4 ق.م تتخذ هذه الموسى شكل "بجعة" أو الإله أبيس. الشفرة نفسها مزينة بزخارف بسيطة تمثل مشاهد دينية. هذه الأخيرة قد تكون في شكل مزيج لمشاهد ذات أصول إغريقية فنيقية ومصرية. تتخذ الحيوانات الممثلة على هذه " الموسى" دورا تزينيا، كما يمكن أن تكون لها أبعاد سحرية مما يفسر شعبيتها.

أمد المصريون أسلاف القرطاجيين بعدد مهم من التمائم الجنائزية لإبعاد الأرواح الشريرة التي تهدد الأحياء وتسعى إلى الإخلال براحة الموتى. بلغ هذا التأثير أوجه مع الفترة الفنيقية إذ أن الاتصال بالحضارة المصرية لم يقطع أبدا. فالآلهة الكبرى المصرية كانت معروفة بقرطاج كما هو الشأن بالنسبة لآلهة الفنيقية.

المعابد والمباني المأتمية :

إذا كنا قد تحدثنا سابقا عن التأثير المصري على مستوى الأثاث الجنائزي فهل شمل هذا التأثير أيضا المباني المأتمية ؟ إلا أنه لا يمكننا الحسم في هذه الإشكالية. لماذا ؟ لأن النماذج التي تحدث عنها بعض الدارسين على أساس أنها تدل على هذا التأثير لا يمكننا أن نجردها أو ننشلها من محيطها وجذورها التي نشأت بها وننسبها إلى بيئة أخرى لمجرد وجود تشابه بين الحضارتين على مستوى طريقة البناء وبعض الأشكال المعمارية.

يوجد قبر بولاية قسطنطينية بالجزائر يشهد على التأثير المصري بنوميديا وهو قبر المدغاسن، أنشئ بمنطقة باطنة على بعد كلمترات جنوب قرية عين ياقوت. ويتخذ شكلا مخروطيا كبيرا قائما على قاعدة

أسطوانية ومتوجا بأعمدة مستوحاة من النمط الدوري، ويحتوي على إفريز مزين بعنق نقل عن الآثار المصرية أو ما عرف بالعنق المصري.

يضم المدغاسن بداخله ممرا مستقيما، وفي مدخله ينفتح على واجهة. وعند الدرج الرابع ينتهي هذا الممر بغرفة جد ضيقة. الواجهة الشرقية تبين ظاهريا وجود بقايا جسم سابق يذكرنا بالحرم الديني الذي يوجد بالناحية الغربية في كل هرم ملكي بمصر. اعتبر ستيفان كسيل (S.Gsell) أن المدراسن كان قبرا ملكيا ولهذا السبب كانت تسمى البحيرة التي بجانبه في الفترة الرومانية بالبحيرة الملكية (lacus regius) نسب البعض هذا البناء إلى سيفاكس والبعض الآخر إلى مسيبسا، لكن يبقى هذا مجرد افتراض، إلا أنه من المؤكد أنه من يتمكن من إنشاء قبر بهذا الحجم وهذه الضخامة كان حاكما ذا سلطة مثل سيفاكس الذي حكم كل الجزائر ومسينيسا وابنه مكيبسا الذي امتد نفوذه من ملوية إلى ساحل خليج كابس(Gabès) إلى جانب قبر المدارسن وجد قبر الرومية أو كما يصطلح عليه باللغة الفرنسية (le Tombeau de la Chrétienne) يقع قبر الرومية على بعد 260 متر من الساحل، إذ بني على قمة تل يشرف من جهة الشمال على البحر ومن جهة الجنوب على منطقة ميتدجا (Mitidja) بحيث يظهر على شكل أسطواني قائم على قاعدة مربعة ويعلوه مخروط مدرج يصل قطره إلى 64 متر وارتفاعه إلى 33 متر. وقد بني بأحجار كبيرة ومنتظمة والجزء المخروطي منه زين بستين عمودا.

تتخذ هذه الأعمدة طابعا أيونيا وذات عنق مصري، إلا أنها غير متتالية إذ تتقطع حيث تظهر أبواب وهمية مكونة إطارا يملأ زخرفة بارزة التي تكون انطلاقا من تموضعها شكلا صليبيا وهو الذي جاءت منه تسمية (le Tombeau de la Chrétienne) حسب (André Berthier) نجد بداخل هذا القبر فناء واسعا بشكل دائري يبلغ طوله 150 مترا، والذي يمكن إيضاؤه باستعمال قناديل موضوعة بكوات صغيرة. نلاحظ باتجاه الوسط، غرفتين صغيرتين يحتمل أنهما غرفتان مأتميتان اعتبر ستيفان كسيل (S. Gsell) أن قبر الرومية تم نقله عن قبر المدراسن، إذ لهما نفس الشكل العام. ومن الخارج نجد أنفسنا أمام نفس القبر ذي الحجم الكبير، متوجا بستين عمودا إغريقيا وبعنق مصري، ويعلوه شكلا مخروطيا مدرجا وبالرغم من هذا التشابه الكبير فقد وجدت بعض أوجه الاختلاف على المستوى الهندسي كما اعتبر أن قبر الرومية مثل المدراسن ليس إلا قبرا افريقيا كبيرا : « un grand Tumulus Africain » يكشف عن بلوغ حد مهم من التطور. وقد نسب ستيفان كسيل قبر الرومية إلى يوباII الملك البريطاني الذي كانت عاصمته المدينة المجاورة لقيصرية تشرشل، والذي كان مولعا بحياة الترف وصديقا للفنانين ومنفتحا على الحضارة الشرقية والهلينستية. إلا أنه في النهاية تراجع عن موقفه واعتبر أن نسبة قبر الرومية إلى يوبا مجرد افتراض ليس إلا.

اعتبرت حليمة غازي انطلاقا من اسم " قبر الرومية" (Le Tombeau de la Chrétienne) أن هذا المعبد أو القبر خصص تقديسا لامرأة على اعتبار أن مصطلح الرومية هو مؤنث، والذي يترجم إلى la Chrétienne أي المسيحية أو النصرانية. وبالتالي فالمستفيدة من هذا القبر العظيم المجاور لقيصرية لن تكون إلا كليوبترا سليني فإذا كان قبر الرومية هو لكليوبترا، فأين دفت يوبا II الذي توفي قبلها ؟ أم أن قبر الرومية كان يعتبر مشتركا فيما بين العائلة الملكية، حسب ما جاء عند بومبنيوس ميلا.

يعتبر المدراسن وقبر الرومية من بين المباني المأتمية المعروفة بالقبور التلية (Tumulus) وهي على العموم تتشابه مع مجموع القبور التلية المنتشرة في الصحراء، إلا أن هذه الأخيرة تظهر صغيرة بالمقارنة مع الأولى. لكننا لا يمكننا أن ننفي وجود التشابه بين هذه المباني والأهرام المصرية على مستوى الشكل العام وبعض أصناف البناء والأشكال الهندسية. لكن هل هذا كافي بالقول بوجود التأثير ؟ وهل نحن أمام تأثير مصري، أم هو مزيج بين تأثير مصري وإغريقي ؟ ونلمس هذا التأثير أيضا على كل معبد "سبراطة" بليبيا و"دوحا" بتونس ويعتر هذا الأخير خير شاهد على التأثير المصري الإغريقي. فالطابق السفلي من هذا المعبد يرتكز على قاعدة مكونة من خمسة أدراج وتشتمل على أعمدة ذات تيجان أيولية (Ioliques) ومزينة بزهرة اللوتس. يرتكز الطابق الثاني بدوره على ثلاثة أدراج ويشتمل على زخرفة على شكل أعمدة أيولية ويعلوها إفريز بعنق مصري. الطابق الثالث محدد بأربعة زوايا مخصصة ليقف عليها الفرسان، وأعمدة هذه الزوايا لها بدورها عنق مصري(gorge égyptienne) ويعلو الكل قمة هرمية الشكل وينطبق نفس الوصف تقريبا على معبد سبراطة بليبيا، إذ له نفس شكل معبد "دوكا"

وبالتالي فهما يشهدان على تطور الفن المعماري بنوميديا في الفترة الما قبل رومانية واستفادته من المؤثرات الشرقية والهلينية. كما يشهد نوع آخر من المعمار على التأثير المصري، وخاصة ما يمكن أن نسميه "بالحرم الديني" بقرطاج (Cippesnaiskoi) أو على جدران المعابد المعروفة باسم الطوفان (Tophet) إذ كانت تزين واجهات هذه المعاد بقرص الشمس المجنح أو تمثال لامرأة تحمل قرص الشمس فوق رأسها مثل الشمس المجنح. وأحيانا أخرى نجد إفريزا مشكلا من أعمدة تعرف بالأعمدة ذات العنق المصري (La Gorge Egyptienne).

يتبين أن التأثير الديني المصري على شمال إفريقيا القديم أن هذا التأثير لم يأت من فراغ أو جاء جملة واحدة وإنما هناك تراكمات وعلاقات واتصالات مباشرة وغير مباشرة جمعت بين الطرفين مما أفرزت هذا التنوع الحضاري لشمال إفريقيا، فازدادت الصلات مع تأسيس قرطاج حيث لعب الفينيقيون دور الوساطة بين الطرفين، كما تطورت المبادلات التجارية الإغريقية والمصرية والليبية وخاصة في الفترة الهلنستية، مع تأسيس الإسكندرية ووصول البطاملة إلى مصر مما سهل عملية التبادل الحضاري. تمثلت

مظاهر هذا التأثير الديني في تقديس الأمازيغ للآلهة المصرية. ويتضح ذلك من خلال ما كشفت عنه الأبحاث الأثرية من وجود تماثيل ومعابد وتمائم ونقوش إبيغرافية لهذه الآلهة. إلا أن هذا لم يكن كافيا للقول بأن هذه الآلهة قد حظيت بالتقديس من طرف كل الشعوب بشمال إفريقيا، أو أنها كانت على حد سواء من الأهمية إلى جانب الأرباب المحلية والآلهة الإغريقية والرومانية. ومن هذا التساؤل ألا يمكن أن تكون هذه الآلهة قد استقطبت من طرف تجار أجانب، أو بعض الجنود الإغريق أو الرومان أو بعض المهاجرين ذوي الأصول الشرقية ؟